

تعريف عن الكتب

موريتانيا الحديثة او العرب البيض في افريقيا السوداء

بقلم محمد يوسف مقلد

دار الكتاب اللبناني - بيروت ١٩٦٠ - ٣٨٦ ص

قيمة الكتاب في انه وضع في وقت دخلت فيه موريتانيا عالم الوجود .
ففضل في معلومات شتى ما اوصله اليها التاريخ العام وادخل اختبارات شخصية
تمّ عن حماس سياسي اكثر منه علمي للدفاع عن استقلال تلك البلاد او
ادماجها بالمغرب .

قلم سيال وروح فياضة . كان على المؤلف ان يردع الواحد ويوجه الاخرى ،
فكان توصل الى درس عميق فيه المعلومات الضافية عن البلاد التي يتكلم عليها
نقلًا او اختبارًا . ولم يترخ المؤلف الطريقة العلمية وهو لم يرد ذلك فاضفى
على كتابه مسحة الواقعية وفي هذا نجاح .

يرّ المؤلف بالجغرافيا ويتابع سيره في التاريخ وبعد ذلك يستخلص العديد
من الملاحظات عن العقلية هناك ويستمرّ ، دون مخطط دقيق يتبهم ، في التنقيب
فيصل الى تحليل اللغة التي يستعملها الموريتانيون . وهكذا يجب القارى .
بنفحة فية تمرّ على هذه الصفحات لما رضع فيها المؤلف من حماس ومن ثم ينهض
الى تحديد بعض المشاريع السياسية والاقتصادية ليكتل الصورة التي اراد رسمها
لتلك البلاد . ولكن اكتمل الصورة دون ان يعود المؤلف ويؤكد ان القومية
العربية هي التي عليها ان تحتضن بلاد موريتانيا .

هذا بعض ما في الكتاب المشتب الطرق انا علينا ان نزيد ان هذا
الشتب توحد عاطفة المؤلف الجامعة نحو بلاد احبها .

CHARLES MOELLER: *Littérature du XX^e siècle et Christianisme*.
I — *Silence de Dieu*, 430 pp. — II — *La foi en Jésus-Christ*, 352 pp. —
III — *Espoir des hommes*, 500 pp. — IV — *L'espérance en Dieu, notre Père*. — Paris. Casterman, 1959, 1960.

في زحمة الاحداث العالمية وضوضاء الفكر وتخيُّط انسان اليوم بين طيات
المادية ونكران وجود الله تيارات واسعة الارجاب. تجمع بين مزائين ابوا ان
يسيروا في عالم هم فيه ضيره ووعيه وبين آخرين احبوا المأساة فعاشرها
واستسلموا للنتائج ولكنهم في دركات الجحيم الذين ارادوه لهم مسكناً لم
يستطيعوا ان يتخلوا عن انسانيتهن بما فيها من ترقى الى الله وشوق متزايد من
خلال اللذة ونشوة النكران .

فها هوذا المؤلف الذي يدين له العالم اليوم بفكرة واسعة وعقل ثاقب احب
ان يعيد كتابات اولئك وهؤلاء. الانتباه الكافي فاستمع الى اقوالهم وكانها في
سرد ما هو بعيد عن الله وعن الحياة الروحية قد نسوا انهم الى المادة يتوقون
فتركوا للقلم ان يوصل اليها اسفهم وحرزهم والمهم الصحيح للابتعاد عن غواية
حياتهم واملهم الوحيد .

ففي كتابه الاول على سكوت الله لم يخف المؤلف من ابداء الآراء
والاحكام المسيحية على كتاب هذا العصر . والاحكام هذه لا تتم عن قصر
نظر بل بعكس ذلك قد تفهم المؤلف ما قرأه وشرع يبيحه بشئ طريقه نحو
التفسير والحكم . اذ هو لاهوتي راديب اجتمعت فيه صفات هذا وذاك اي
صفات القارى. اللبيب الذي يستخلص المقاطع الحاسمة من قرآته ويجليها بنقد
لا يعرف اللذع انما يوقظ عند القارى الحكيم ذلك الميل للجدل مع المؤلف او
مع من يتكلم عليهم. ومن هذا الخوار العقلي ينتج النور الذي يساعد في اتباع
الطريق التي لا تقل وعورة عن اي طريق جديد ينتجها المؤلف بصبر الحكيم
وبمجة الكاهن الذي يعلم انه عند الكلام على الآخرين عليه ان يظل كاهناً .
فتعاقبه واسعة وقوة تهبه الامور عظيمة ولقد اتى في هذا الكتاب الاول على
ذكر كامروجير وهوكسه وسيرون قايل وگراهام گرين وجوليان گرين
وبرنانوس . يذكر منهم مقاطع وكانه اختار احسن ما في الكتاب وهذه المقاطع
تكفيها لتفهم موقف هذا او ذاك .

اما الكتاب الثاني فأتى على درس الايمان وهناك في الارسطو العقلانية مبدأ لا يتجزأ يقضي بنكران الروح او ما يعلو العقل البشري ويدير بالانسان بين ظلمات العقل او تبججه الى ان يغفل به الى هتك الاخلاق والى التدهور الاناني. وانذا فانه يذكر سارتر وما آلى اليه من جحد بوجود الله وكيف توصل الى ذلك من خلال تحليل مفهوم الحرية التي ترضى بالحق ولا بالله. وذهب بعد ذلك الى الكلام على هنري جامس واظهر ما عنده من حنين الى الكنييسة الكاثوليكية وما هي اليوم قوة الروحيات على عقول المؤلفين الذين لا يكتبون حرفاً دون ان يفكروا بالله او بالشيطان. فانه والشيطان دخلا صفحات الادب المعاصر وهذا ما يدل على ان النفس المصرية حائزة الى ان تثبت في الله. فينتهي المطاف بالمؤلف الى ان يدل على طريق الايمان، طريق الخلاص. وينتقل بعد ذلك الى درس الكاتب مارتان ده چار ومجدثنا عن مشاكل الايمان وضيعانه، عن الحُرْف وصلته بالايمان، عن الموت ومفهومه في المسيحية. ومن خلال هذا الافكار والتحايل تبدو صورة الكاتب الذي يكلنا عليه ونصل الى ذلك القول، قول اللاهوتي البارغ ان العودة الى الايمان لن تكون عودة عودة اجزاء. الانسان المعروفة عقله او حريته او جسمه. فالعودة تقضي ان يعود الانسان بكامله اذ الايمان خطرة حرّة وان كان نعمة الهية.

ويورد المؤلف فيكلنا على ما ليح ويغتم الفرصة السانحة ليحلل ما يقتضيه الايمان من نعمة الهية ومن توق داخلي ومن عناصر خارجية وبراين تقود العقل رويداً رويداً الى ان يفهم ان هناك عالماً يفوقه وعليه ان يسجد راعماً بتواضع وانكار طالباً معونة الله ومساندته. في هذا القسم براءة حقيقية وروح المؤلف في مظهرها الجلي. ففي أسلوب سلس يُدخلنا في اعماق الضمير والوجدان ويقودنا الى الاختبار الذي قام به هو نفسه فتحنس ما شعر به هو وكان النفس معه ومع ما ليح تجوب اجراء ابعدها عن الارض ولكنها اناوت سيرها على هذه الارض.

وفي ختام هذا الكتاب الثاني كلمة على مسزولية المسيحي لو انتبه اليها القارى. وعاد فتبع المؤلف في تحليل تطوير الايمان من الفترة الى الرجولة. وفي كل هذه الصفحات نغمة ايمان تخلف بعدها فرحاً في المؤمن وحينئذ عند الغير المؤمن.

أما في الكتاب الثالث فلقد ظرق المؤلف موضوعاً نراه مرسوماً على وجوه الناس إلا وهو أمل الإنسان : الأمل الذي يكاد يهجر نفوسهم في عالم طُمت فيه المادة وسيطرت على الإنسان فصار آلة تستعمل لا تلك الخليفة التي ولأها الله كي تُعطي المخلوقات اسمها. ولذا ففني هذا الجزء من مجردة شارل مولر نرى أكثر مما في الجزئين الأولين تفسيراً مسيحياً لتزعجات الإنسان وفي ذلك ما فيه من مقدرة اللاهوتي وتجابة نظر الأديب فيينا ما نستطيع ان نستخدمه لتتبع الطريق في درس مؤلفي اليوم. إذ ان المؤلف لم يرد ان يكتب كتاباً لاهوتياً ولا كتاباً فلسفياً ولم يرد تأريخ الآداب بالأجمال انما جرب ان يبيننا طريقة تفكير على بعض النصوص التي تتميز روح العصر والتي تصف وصفاً دقيقاً انسان القرن العشرين .

ولقد درس المؤلف في هذا الجزء نفسية مالرو من خلال مؤلفاته. فانه وان يجتذ الفن ويرى فيه غاية الحياة فلقد نشهر من خلال السطور والصفحات بتلك الوحدة التي يتخبط فيها بين الأنياب والنفي بين المواقف المتناقضة بين البودة الى الارض والاتصاق بها وبين التوق الى علو. فيعود المؤلف ويدرس كفنكما وغيره من الكتاب كفرنرراز ساغان او مونييه وعندهم جميعهم يقف وقفة المحب الذي يريد ان يجد الانسان فيهم من خلال مواقف تحجرت مرآت ومرآت ضل به القلم واراننا من وراء ستار حديدي نور نفس تتألم وان تترغت في وحل الرذيلة . ويتخلص المؤلف الى القول بان كل انسان ضعيف وعليه ان يسند ضعفه بقرة الاله المسيح .

أما الجزء الرابع فانه يكاسنا على الرجاء بالله ابينا . نجلنا فيه المؤلف حيارى بين تيار اونامونو وتيار مرسل وتشعر بجحفا الاول وبنضارة الثاني، فنتفر من الاولى ونساق وراء الثاني وقد خلق الانسان للرجاء لا لليأس والتعوط . ولذا فمع در يوس نسير وراء الرجاء ذلك فيوصلنا الى الله الحي ومع بيحي نرى ان في الرجاء المحبة وهي غاية الانسان القسوى .

* *

فبعد هذه الجولة العابرة نشمر بانه ليس من الممكن ان نلخص كتاباً كهذه ملاهى درراً . فلذولف الشكر وقد ادخل في التقدي الادبي ميزة خاصة الأوهي

تفهم افكار الكتاب والسعي وراء خلاصهم من ربقة المادة وان ارادوا ان يوهموا القارئ بذلك فهم بشر ، وطالما عاش الانسان فمن اعماق الرذيلة يتوق الى فوق ومن اسفل دركات الشر لا يسعى. آلا الى الله . ولكن علي المؤلف اذالك ان يظل وأعياً كي لا يترك تفوته تلك الجملة او تلك الكلمة التي تحمل من فم الكاتب ومن قلبه خاصة امل الانسان ونبضات قلبه الذي تراكمت عليه الاغلال دون ان تقتل فيه يد مبدعه وتلك الصرخة اليه التي هي الانسان بالذات .

١. عبده خليفه اليسوعي

J.-Ch. DIDIER : *Le Chrétien devant la maladie et la mort.* — Coll. Je sais — Je crois. — Lib. Arthème Fayard — Paris 1960, 124 pp.

في فصول قليلة توصل المؤلف بعمه وسعة اطلاعه ان يحصر القديم والحديث مما قيل في المرض والموت فاعطانا ضئلة لاهوتية قيمة عن السر الذي يحول ضريبة الساعات الاخيرة فتصير نيرة مفيدة ويجعل الموت الذي هو نهاية مسرحية الحياة بد. حياة حقيقية. فالمسيح قد قام وقد خاب الموت في تسلطه على بني الانسان . فالمسردية تدخلنا في سر موت وقيامه المسيح الاله وبها تغير كل شيء . حتى موقف المسيحي من الموت ومن المرض . فموت المسيح صار سرًا ناجمًا ، ولذا فعليتنا ان ننظر الى موت ومرض المسيحي بعين المؤمن .

ولقد تتبع المؤلف النصوص الكتابية والتاريخية والطبقية واعطانا حزمة ضمت ما يهم المؤرخ واللاهوتي فألقى كتابه وانياً دقيقاً .

١. ع. خ